يحي النحـــوى

للدكتور جواد علي

ومن هو يحي النحوى ذلك العالم الذى يرد اسمه كثيراً فى كتب الفلسفة والطب والطبيعيات لدى العرب ؟ يرد كمؤلف وكمنتقد لكتب اليونان السابقين ، وكطبيب ، ويرد كوسيط بين الحضارة اليونانية المسيحية وبين الحضارة العربية الإسلامية فيدخل اسمه بين مؤلفات كثير من علماء المسلمين ويستشهد بأقواله جماعة من أسلافنا العلماء

قالوا إنه كان يحي الإسكندرانى الأسكلانى تلميذ ساوداى وأنه كان أسقفاً فى بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ، ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبي أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً . وقد فسر كتب أرسطوطاليس وكتب عن طب جالينوس الشهير[1]

وقد ذكر الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (المتوفى عام ٦٤٦ هـ) فى كتابه أخبار الحكماء نفس القصة التى ذكرها ابن النديم بعد أن أضاف إليها أن عمرو بن العاص لما سمع من ألفاظه الفلسفية وحججه المنطقية التى لم يكن للعرب بها أنسة لازمه وكان لا يكاد يفارقه ، وأنه نظراً لهذه الدالة التى كانت ليحي على عمرو طلب منه ذات يوم تسلم بعض ما فى خزائن الأسكندرية من كتب لينتفع بها . ولما كتب عمرو إلى الخليفة يستأذنه أمره الخليفة بإحراق ما فى الأسكندرية من كتب[2]

وذكر الوزير قصة أخرى سندها رواية أبى عبيد الله بن جبريل ابن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب فى كيفية نبوغ يحي فى الفلسفة والمنطق دون سائر العلوم[3] ، وهى قصة وردت فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة أيضاً[1] ؛ وسندها كتاب مناقب الأطباء لعبيد الله بن جبريل على ما يقوله صاحبنا ابن أبى أصيبعة هذا . ويضيف إليها رواية نقلها من تعاليق الشيخ أبى سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى فى أن يحي كان فى أيام عمرو بن العاص وأنه شهد الفتح الإسلامى لمصر[2] .

وقد عرف اليونان والسريان هذه الشخصية ولكنهم عرفوها فى وقت آخر غير الوقت الذى حدده المسلمون وسموها اسماً يختلف قليلاً عن هذا الإسم : سموه يوحنا فيلوبونس Johannes Philoponus ومعناه يوحنا الحريص ؛ وسموه أيضاً يوحنا الغراماطيق Johannes Grammaticus أى يوحنا النحوى (يحي[3]) وقالوا عنه : إنه كان أحد تلامذة أمونياس بن هرمياس . وكان يعلم فى الاسكندرية نحو السنة ٤٨٠ الميلادية وأنه كان من رجال القرن السادس[4] . وقال عنه ميخائيل إنه ظهر سنة ٥٥٠ ميلادية وأنه اتبع بدعة المثلثين Tritteisme [5] ، وأنه ألف كتباً يدافع عنها . فلما عرف به الإسكندريون حرموه كما حرموا رؤساء أديرة بلاد العرب نحو سنة ٥٧٣ الميلادية . فأنت ترى من ذلك أن الرجل عاش ومات فى عصر لم يكن العرب فيه قد فتحوا مصر بعد ؛ ولا يعقل أن يكون قد شهد هذا الفتح أيضاً ، فكيف السبيل ؟

حاول جرجيس أفندى فيلوثاوس عوض من أقباط مصر[6] وحاول الأب لويس شيخو اليسوعى[7] إيجاد حل معقول لهذه المشكلة التاريخية ، فقالا : المعقول أن يكون مقصود العرب من يحي النحوى هو يوحنا النقوى أو النحوى أسقف مدينة نحو ،

(١) راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦ طبعة مصر المطبعة الرحمانية

(٢) راجع أخبار الحكماء ص ٢٣٢ وهى رواية نقلت من مصدر عربى واحد إلى سائر الكتب ولم تثبت تاريخياً .

(٣) أخبار الحكماء ص ٢٣٤

(١) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤ طبعة سنة ١٨٨٢

(٢) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤

(٣) راجع كتاب المخطوطات العربية لمكتبة النصرانية تأليف الأب لويس شيخو اليسوعى طبعة بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٢١٣ وكذلك مجلة المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد

(٤) راجع المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد

(٥) وقد ظهرت عقيدة التثليث فى أديان أخرى مثل الديانة الهندوسية وتدعى فى السنسكريتية Trimurti ومعناها الثالوث أو التثليث ، وكذلك فى الديانة الرومانية القديمة . راجع Krüger. Das Dogma von der dreieinig keit. 1905. ed. chabot. 2. 244 أيضاً

(٦) راجع المقتطف مجلد ٣٨ سنة ١٩١١ ص ٢٣٤ ، ٤٤٢

(٧) المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد ، وكتاب المخطوطات العربية ص ٢١٣

المعروفة عند اليونانيين باسم نيقيوس أو نيكيو Nikiou ، وعند اللاتين باسم Niciu أو Nikium[1] . وإن هذا الاشتباه الذى حصل لدى العرب إنما كان من قبيل التصحيف[2] . وتكاد الظروف التى أحاطت بالأسقف يوحنا النحوى تنطبق مع الظروف والتفصيلات التى تنقلها الرواية العربية المذكورة عن يحيى النحوى ، فقد ذكر هذا الأسقف فى جملة من حوكم أمام سيمون أسقف الاسكندرية الذى ترأس محاكمة أصحاب البدع عام ٦٨٣ الميلادية[3] وذكر أنه ألّف كتاباً فى التاريخ باللغة اليونانية ذكر فيه فتح العرب لمصر ، عرّبه أحد الأقباط ونقل هذا التعريب إلى الحبشية ، وتوجد النسخة الحبشية فى جملة مخطوطات المتحف البريطانى . وذكر عنه أيضاً أنه كان صديقاً موالياً لقورس بطريرك الاسكندرية وزعيم المنوثليين ، وهو الذى يدعوه العرب بالمقوقس ، وقد ناصرهم فى فتح الأسكندرية . فهذه الصداقة على ما يقوله الأب لويس شيخو قربته من العرب وجعلته من أصدقاء عمرو بن العاص[4]

وهذا الحل لا يخلو من اعتراضات أيضاً . فالمعروف عن يحى النحوى أنه كان من الأطباء وأنه كان من الفلاسفة أيضاً ، وكتبه تدل على رجل عالم بالطب والفلسفة معاً لا على رجل دينى فحسب كما هو شأن الأسقف يوحنا النحوى . والمعروف عنه أيضاً أنه كان أسقفاً من أساقفة الإسكندرية ، ولم يكن النحوى أسقفاً على الإسكندرية أبداً . على أن الإمام ظهير الدين أبا الحسن على ابن أبى القاسم زيد البيهقى (المتوفى عام ٥٦٥ هجرية) يحدثنا فى كتابه (تتمة صوان الحكمة)[5] عن رجل يعرف بيحى النحوى الفيلى الاسكندرانى الملقب بالبطريق ، فيقول عنه إنه كان من قدماء الحكماء وأنه كان نصرانياً فيلسوفاً ، فأراد عامل على بن أبى طالب إزعاجه عن فارس وتخريب ديره فكتب يحى قصة إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد ابن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين . ويقول مؤلف الكتاب أنه رأى نسخة هذا الكتاب فى يدى الحكيم أبى الفتوح المستوفى النصرانى الطوسى وكان توقيع على بن أبى طالب عليه[6]

ويضيف البيهقى على روايات من تقدمه من المؤلفين قوله إن خالد بن يزيد بن معاوية أخذ الطب عنه ، وإن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالى فى تهافت الفلاسفة هو تقرير كلام يحى النحوى[7] ، وقد وافقه على هذا الرأى الشهرزورى الشهير أيضاً[8] وقد قال إنه ألف كتباً وردّ بها وفيها على أفلاطون وأرسطو حين همّت النصارى بقتله ، ولا يتعرض بعد ذلك إلى حادثة التقائه بعمرو ولا إلى قصة الحريق المزعومة

ومشكلة المشكلات هى قول الرواة العرب أنه كان أسقفاً على الأسكندرية وأنه عاش فى زمان عمرو . وعلى كل فالرواية اليونانية السريانية تعارض هذه الرواية العربية ولا تعترف به كأسقف على الأسكندرية أبداً . والرواية العربية على ما يظهر مستقاة بعضها من بعض ؛ فقصة الحريق مأخوذة عن ابن العبرى[9] وابن العبرى ينقل عن ابن القفطى ، وابن القفطى ينقل متن الرواية بدون ذكر حادثة الحريق من الفهرست لابن النديم[10] ؛ ولم يذكر ابن العبرى نفسه فى كتبه السريانية : الكنسية منها والمدنية ، قصة الحريق مما يدل على أنه لم يجد ذلك فى كتب السريان[11]

الحق أننا أمام مشكلة تاريخية فلسفية عويصة ، فالرجل مهم جداً فى بحث الفلسفة العربية والعقلية الإسلامية ، والموضوع معقد لا يعالج فى صفحات . ولا بد للباحث من تقليب المصادر اليونانية والسريانية والقبطية والعربية أيضاً للحكم بصورة قطعية على شخصية وعصر هذا الفيلسوف الذى هو حلقة وصل بين العقليتين : العقلية اليونانية المسيحية ، والعقلية العربية الإسلامية .

« بغداد »

جواد على

(١) وقد كتب عن هذه المدينة المستشرق كاترمير راجع :
Quatremère : mémoire sur L'egypte 1 و 423

(٢) راجع مجلة المشرق ص ٥٤ نفس العدد

(٣) راجع تاريخ ساويرس بن المقفع لبطاركة الأسكندرية المذكور فى تاريخ يوحنا السمنودى ed. Syboid. 1. 129 — 130

(٤) المشرق نفس السنة ص ٥٦ ، ولم يكن المؤلف قد انتفع بعد من المصادر التى طبعت بعد مثل كتاب البيهقى وغيره

(٥) طبعة لاهور سنة ١٣٥١ هـ ص ٢٣

(١) تتمة صوان الحكمة ص ٢٣

(٢) نفس المصدر ص ٢٤

(٣) راجع كتابه نزهة الأرواح وهو مصور بمكتبة الجامعة المصرية على ما يقوله محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٨٢ — ١٨٣

(٤) راجع كتابه مختص تاريخ الدول ص ١٧٥

(٥) المشرق ص ٥١

(٦) راجع كتبه السريانية التى طبعها J. B. Abbeloos وكذلك T. J. Lamy وبيان الغازارى والمشرق ص ٥١